

شهر رمضان وبناء المجتمع كيف يعيد الشهر الفضيل إنتاج رأس المال الاجتماعي

إعداد

مركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية



المقدمة

يمثل رأس المال الاجتماعي أحد المرتكزات الأساسية في ديمومة المجتمع وتماسكه، إذ يتجسد في شبكة العلاقات والثقة المتبادلة والقيم المشتركة التي تنظم تفاعل الأفراد داخل البنية الاجتماعية، وكلما ازداد "سُمك" هذا الرأس المال، ازداد المجتمع قدرةً على الصمود أمام الأزمات وتحقيق الاستقرار، وفي السياق العراقي، يمكن ملاحظة أن هذا التراكم لا يجري بصورة خطية ثابتة، بل يتكثف أحياناً في فترات زمنية موسمية ترتبط بالمناسبات الدينية، ويأتي شهر رمضان في مقدّمة هذه المواسم التي تسهم في تعزيز وتراكم رأس المال الاجتماعي.

ففي المجتمعات الإسلامية عموماً، وفي العراق على وجه الخصوص، يشهد شهر رمضان حراكاً اجتماعياً فاعلاً يتجلّى في ازدياد التفاعل بين الأفراد، وتوسّع شبكات التواصل الأسري، وتنامي المبادرات التطوعية والخيرية. هذا الحراك لا يقتصر على الجانب الاجتماعي الظاهر، بل يتغلّى من بعدٍ روحي عميق يعزّز علاقة الإنسان بخالقه من خلال العبادات المكثّفة، وهو ما ينعكس بدوره على سلوكه الاجتماعي. فالإحساس بالجوع والعطش، وصوم الجوارح، وتكثيف أعمال البرّ، تُنتج حالة وجدانية مشتركة تعزّز الإحساس بالآخر، ولا سيما الفئات الفقيرة أو المهمّشة التي تعاني من شحّ الموارد.

ومن منظور سوسولوجي، يمكن تفسير هذه الحالة بوصفها إعادة توزيع رمزية ومادية للموارد داخل المجتمع، إذ تسهم الصدقات ومساعدة المحتاجين وموائد الإفطار الجماعية في تقليص الفجوة بين الطبقات، ولو بصورة مؤقتة، وتوليد شعور بالمصير المشترك. فالصائم يختبر- ولو جزئياً- معاناة المحتاج، ما يعمّق التعاطف ويحفّز التضامن، وهو ما يعزّز الثقة الاجتماعية ويقوّي الروابط الأفقية بين الأفراد.

كذلك يشكّل شهر رمضان فرصة لإعادة ترميم العلاقات الاجتماعية المتصدّعة، فكثيراً ما تُستثمر بركة الشهر في إنهاء الخصومات، وتجاوز الخلافات، واستعادة صلوات الرّح، هذا البعد الإصلاحي يسهم في إعادة وصل ما انقطع داخل النسيج الاجتماعي، ويعيد بناء جسور الثقة التي تُعدّ عنصراً محورياً في رأس المال الاجتماعي.

وفي العراق، إذ تعرّض المجتمع لتحولات سياسية وأمنية عميقة، تبرز أهمية شهر رمضان بوصفه مساحة لإعادة تنشيط شبكات التضامن المجتمعي والديني، فالمؤسسات الدينية والمبادرات الشبابية والعشائر والأسر جميعها تنخرط في برامج ومشاريع رمضان- من توزيع المساعدات إلى تنظيم المجالس والأنشطة الجماعية- تسهم في تعزيز روح التعاون والانتماء.

وعليه، يمكن القول إن شهر رمضان في العراق لا يمثّل مجرد موسم تعبدي، بل يشكّل بنية اجتماعية مؤقتة عالية الكثافة تُعيد إنتاج رأس المال الاجتماعي عبر تعزيز الثقة، وتقوية الروابط، وتحفيز العمل الجماعي. غير أن التحدي يكمن في تحويل هذا التراكم الموسمي إلى رصيد مستدام يمتد أثره إلى ما بعد انتهاء الشهر الفضيل، بما يرسّخ ثقافة التضامن بوصفها ممارسة دائمة لا ظرفية.

أولاً: شهر رمضان كجسر للتواصل الأسري والعشائري وتعزيز رأس المال الاجتماعي يمثل شهر رمضان لدى الأسر المسلمة فترةً متميزة يسودها الروحانية والإيمان والمحبة، إذ تتجلى هذه الخصائص بوضوح خلال الاجتماع حول مائدة الإفطار، فالإفطار الجماعي لا يقتصر على كونه مناسبة لتناول الطعام، بل يتحوّل إلى فضاء لتعزيز التواصل الأسري والاجتماعي، وتقوية روابط المودة والمحبة بين أفراد الأسرة والمجتمع.

تأتي صلة الرحم وزيارة الأقارب كجزء لا يتجزأ من الطقوس الرمضانية، إذ تسهم في إعادة بناء رأس المال الاجتماعي على المستويين العائلي والعشائري، فهذه اللقاءات تخلق فرصاً لتعميق الألفة والتقارب الاجتماعي، وتعزيز الشعور بالانتماء، وتشجيع التعاون بين أفراد الأسرة والمجتمع المسلم، كما تتيح هذه المناسبة الفرصة لإنهاء النزاعات القديمة وتسوية الخلافات الشخصية أو العشائرية، بما يسهم في تقوية روح التضامن والتكافل الاجتماعي.

وبذلك، يمكن القول إن الأبعاد الأسرية والعشائرية في رمضان لا تقتصر على الجانب الرمزي أو الطقوسي، بل تمتد لتكون آلية فعالة لإعادة إنتاج رأس المال الاجتماعي، وتعزيز النسيج الاجتماعي، وتحقيق تماسك المجتمع على مستويات متعددة.

ثانياً: شهر رمضان كمدرسة أخلاقية لإنتاج القيم الاجتماعية

يمثل شهر رمضان بُعداً أخلاقياً عميقاً في الوعي الإسلامي، إذ لا يقتصر أثره على الامتناع الجسدي عن الطعام والشراب، بل يتجاوز ذلك ليصبح فضاءً تربوياً لإعادة بناء الإنسان أخلاقياً وروحياً. فهو زمن إيماني مكثّف تسهم نفعاته الروحية في تهذيب النفس، وتنمية القلوب، وترسيخ قيم الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع. وفي هذا السياق، يمكن النظر إلى رمضان بوصفه بيئة زمنية أخلاقية تُعيد تشكيل السلوك الفردي والاجتماعي على حدّ سواء. قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}. كما قال النبي ﷺ: "من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه".

كما يعمل الصوم على كسر النزعات الأنانية وكبح الدوافع السلبية التي قد تعيق ارتقاء الفرد نحو السمو الأخلاقي. فالصائم يسعى في هذا الشهر إلى تجنّب المعاصي، وضبط الجوارح، والابتعاد عن السلوكيات التي تتنافى مع القيم الدينية. وهذا الانضباط الذاتي ينعكس إيجاباً على علاقاته الاجتماعية، إذ يتعزز لديه الاستعداد للتسامح وضبط النفس، والتعامل بروح أكثر هدوءاً واتزاناً.

ومن أبرز القيم التي ينتجها رمضان قيمة الصبر، فالإحساس بالجوع والعطش يضع الإنسان في تجربة وجدانية تقربه من معاناة الفقراء والمحتاجين، فيتولد لديه شعور عميق بالتعاطف معهم. هذا التعاطف يتحوّل عملياً إلى مبادرات عطاء وإنفاق تسهم في تعزيز التكافل الاجتماعي وتقوية روابط التضامن بين مختلف طبقات المجتمع.

قال الإمام علي عليه السلام: "الصبر صبران: صبر على ما تكره، وصبر عما تحب" (نهج البلاغة، الخطبة (67).

كما تتجلى في رمضان قيمة الإيثار، حيث يقدم الأفراد احتياجات الآخرين على احتياجاتهم، سواء عبر التبرع أو مشاركة الطعام أو مساعدة المحتاجين. وهذا السلوك الإيثاري لا يعزز فقط روح الأخوة، بل يسهم أيضًا في رفع منسوب الثقة المتبادلة، وهو ما يشكل ركيزة أساسية في بناء رأس المال الاجتماعي. في هذا المجال قال الإمام الصادق عليه السلام: "خير الناس أنفعهم للناس".

إلى جانب ذلك، يرسخ شهر رمضان قيمة العفو وكظم الغيظ، إذ يُنظر إلى هذا الشهر بوصفه فرصة للمصالحة وإنهاء الخلافات. فكثيرًا ما يبادر الأفراد إلى تجاوز النزاعات الشخصية أو العشائرية، مدفوعين بروح الشهر وبركته، مما يخلق مساحات جديدة من الألفة والتواصل الاجتماعي، ويعيد وصل ما انقطع بين الناس.

وعليه، يمكن القول إن رمضان يعمل كمدرسة أخلاقية متكاملة تُنتج منظومة من القيم الاجتماعية-الصبر، الإيثار، العفو، والتعايش السلمي- تسهم في ترميم العلاقات الاجتماعية وتعزيز ثقافة قبول الآخر، حتى وإن اختلف انتماءه العشائري أو الاجتماعي. ومن خلال هذه العملية التربوية الجماعية، يتحول الشهر الفضيل إلى لحظة إعادة بناء أخلاقي للمجتمع، تُفضي إلى تقوية نسيجه الداخلي وتعزيز تماسكه.

ثالثًا: أثر الخطاب الديني في تحفيز التضامن الاجتماعي

في هذا الشهر الفضيل، نلاحظ مجموعة واسعة من البرامج الدينية التي تهدف إلى إعادة بناء الإنسان وتعزيز القيم الدينية والأخلاقية. ويأتي دور الخطباء الدينيين في مقدمة هذه البرامج، حيث يسعون من خلال خطبهم إلى ترسيخ قيم التسامح والتفاهم بين أفراد المجتمع، وتعزيز اللحمة الاجتماعية عبر تقوية النزعة الإيمانية لدى المؤمنين.

وتشهد ساحة النشاط الديني خلال رمضان تنظيم العديد من الفعاليات التي تهدف بشكل مباشر إلى تعزيز التضامن الاجتماعي وتشجيع التكافل بين أفراد المجتمع. فمن خلال الخطب والمحاضرات والأنشطة الجماعية، يُحفّز الأفراد على تقديم الدعم والمساعدة للمحتاجين والمشاركة في الأعمال الخيرية، ما يسهم في تقوية الروابط الاجتماعية وتعميق قيم التعاون والإيثار بين مختلف فئات المجتمع. وبذلك، يصبح الخطاب الديني أداة فعالة ليس فقط في تهذيب النفوس، بل أيضًا في خلق بيئة اجتماعية متماسكة تركز على التضامن والمشاركة، ويعزز رأس المال الاجتماعي في المجتمع خلال هذا الشهر المبارك.

رابعاً: موائد الإفطار والسلال الغذائية ودورها في تعزيز رأس المال الاجتماعي تشكل موائد الإفطار وتوزيع السلال الغذائية في رمضان شبكة أمان اجتماعي تُعزز التكافل الاجتماعي وتقوّي الروابط بين أفراد المجتمع العراقي. فالإفطار الجماعي يجمع بين الجيران والأصدقاء والعائلات، ويخلق بيئة من المشاركة والتواصل الاجتماعي، كما يحقّز السلوكيات الإيجابية والتضامنية. وأكد النبي ﷺ على فضل العطاء مهما كان بسيطاً، حيث قال: "اتقوا النار ولو بشق تمرة". وعلى الرغم من بساطة العطاء، فإن مردوده الإيماني كبير، مما يشجع الأفراد على المبادرة بالعطاء والمشاركة في موائد الإفطار أو توزيع السلال الرمضانية على المحتاجين والفقراء، وتقوم العتبات المقدسة في العراق بتنظيم هذه الموائد وتوزيع المساعدات الرمضانية بشكل منتظم، مما يسهم في إعادة وصل العلاقات الاجتماعية المنقطعة وتعزيز التلاحم المجتمعي.

كما أن هذه الأنشطة الخيرية تؤكد أهمية شهر رمضان كفرصة لتعميق مفهوم التضامن الاجتماعي وإحياء روح العمل الجماعي، وهو ما ينعكس مباشرة على تعزيز رأس المال الاجتماعي وتقوية نسيج المجتمع العراقي في مواجهة التحديات الاجتماعية والاقتصادية.

خامساً: أثر الصوم في تنمية التعاطف الاجتماعي وتعزيز رأس المال الاجتماعي يُعدّ الصوم في شهر رمضان مدرسة تربوية شاملة تهدف إلى تهذيب النفس ورفعها عن الغرائز والرغبات المفرطة، بحيث يصبح الإنسان أكثر قدرة على ضبط نفسه، وتجنب الأفعال الضارة، والابتعاد عن العادات السيئة، سواء كانت تغذوية مثل الإفراط في الطعام، أو غير تغذوية مثل الإفراط في استهلاك المنبهات، ويظهر هذا البعد النفسي كأحد أهم مقاصد الصيام، إذ يساعد الأفراد على تطوير مهارة ضبط النفس، وقوة الإرادة، والمثابرة على تحقيق الأهداف، وهي مهارات أساسية للنجاح الشخصي والاجتماعي.

كما يسهم الصوم في تنمية التعاطف الاجتماعي والمودة تجاه الآخرين، فالامتناع عن الطعام والشراب والشهوات يضع الفرد في تجربة وجدانية تقربه من معاناة الفقراء والمحتاجين، ويزيد إحساسه بالمسؤولية تجاههم، ويترتب على ذلك تعزيز الثقة بين أفراد المجتمع، إذ يتحول الشعور بالمسؤولية الفردية إلى سلوك عملي يتمثل في مساعدة الآخرين، والتبرع، والمشاركة في المبادرات الخيرية، وبالتالي تقوية رأس المال الاجتماعي عبر تعزيز الروابط الأفقية بين مختلف فئات المجتمع.

ويشير القرآن الكريم إلى هذا البعد الإنساني للصوم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}.

إذ تربط الآية بين الصوم والتقوى، أي تنمية السلوك الأخلاقي الذي يشمل مسؤولية الفرد تجاه نفسه وتجاه الآخرين. كما ورد في الحديث الشريف: "الصوم جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم"، مما يوضح أن الصوم يعمل على تنمية ضبط

الانفعالات والعواطف وتعزيز التنظيم النفسي والعاطفي، وهو ما يدعم استقرار الفرد النفسي والاجتماعي ويزيد من قدرة المجتمع على التماسك والتعاون.

ويشير علماء النفس التنموي إلى أن ضبط النفس يُعد أحد جوانب الذكاء العاطفي، ويؤثر مباشرة على قدرة الفرد في اتخاذ القرارات الصائبة والتحكم في ردود أفعاله والتفاعل الإيجابي مع الآخرين، ومن خلال الصوم لمدة شهر، يتعلم الفرد التحكم في شهواته والمثابرة على مواجهة الصعوبات والمساهمة بفعالية في خدمة الآخرين، وهو ما يرسخ قيم الصبر والمسؤولية والرحمة، ويعزز رأس المال الاجتماعي للمجتمع من خلال تقوية الثقة المتبادلة وتعميق التعاون والتكافل بين أفراد.

كما يعتمد الصوم إلى السيطرة على الغضب والعصبية، فهو يشمل الامتناع عن إيذاء الآخرين لفظيًا أو جسديًا، ويعزز الانضباط الشخصي والتحكم في السلوك. قال الإمام علي عليه السلام: "وَلِحُقُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ تَدَلُّلًا"، إذ يعبر هذا الحديث عن تجربة الجوع أثناء الصيام وكيف تتحول إلى تذلل لله وتهذيب للنفس، مما يجعل الصائم أكثر قدرة على ضبط الانفعالات والتصرف بترو، وهو ما يساهم في تعزيز رأس المال الاجتماعي وتقوية العلاقات الإنسانية.

وعليه، يمكن القول إن رمضان لا يمثل مجرد فترة دينية وطقسية، بل هو فضاء تربوي ونفسي واجتماعي متكامل. فهو يربط بين الارتقاء النفسي للفرد من خلال ضبط الانفعالات وتطوير مهارات الذكاء العاطفي، وبين تنمية رأس المال الاجتماعي من خلال تعزيز التعاطف والتكافل والولاء المجتمعي، بما يتكامل مع باقي المحاور السابقة، مثل رمضان كمدرسة أخلاقية، وأثر الخطاب الديني، ودور موائد الإفطار والسلال الغذائية في تعزيز التضامن الاجتماعي.

الاستنتاجات

يتضح أن شهر رمضان لا يقتصر دوره على البُعد الفردي أو الطقوسي، بل يشكّل فضاء تربوي، نفسي، واجتماعي متكامل. فهو:

1. مدرسة أخلاقية لإنتاج القيم (الصبر، الإيثار، العفو).
 2. وسيلة لتعزيز التضامن الاجتماعي عبر الخطاب الديني والأنشطة العملية.
 3. فرصة لتعزيز رأس المال الاجتماعي من خلال موائد الإفطار والسلال الغذائية.
 4. وسيلة لتطوير الصحة النفسية، ضبط النفس، وتنمية التعاطف والرحمة بين أفراد المجتمع.
 5. أداة للسيطرة على الغضب والعصبية وتعزيز الانضباط الشخصي والاجتماعي.
- وبذلك، يتحول رمضان إلى وسيلة عملية لتعزيز التماسك الاجتماعي، والثقة المتبادلة، والتكافل بين أفراد المجتمع العراقي، محققًا التكامل بين الأبعاد الدينية، الأخلاقية، النفسية والاجتماعية.

الخاتمة

يتضح أن شهر رمضان يشكل فضاءً اجتماعياً، تربوياً، وأخلاقياً متكاملًا، يعزز رأس المال الاجتماعي من خلال تضافر عدة محاور: تعزيز الروابط الأسرية والعشائرية، إنتاج القيم الأخلاقية، الخطاب الديني الفاعل، موائد الإفطار والسلال الغذائية، وتنمية التعاطف وضبط النفس. ويمتد أثر هذا الشهر الفضيل إلى ما هو أبعد من العبادة الفردية، ليصبح تجربة مجتمعية جامعة تعمل على ترميم العلاقات الاجتماعية المتصدعة، وتقوية الشعور بالانتماء والمسؤولية المشتركة. كما يوفر رمضان فرصة لإعادة توجيه القيم والممارسات اليومية نحو التضامن، الإيثار، والمواطنة الفاعلة، مما يعزز من قدرة المجتمع العراقي على مواجهة التحديات الاجتماعية والاقتصادية. وبذلك، يتحول شهر رمضان إلى أداة عملية لبناء مجتمع متماسك، قائم على الثقة المتبادلة، والتعاون، والتكافل الاجتماعي، ويؤسس لبنية مستدامة لرأس المال الاجتماعي. ويبرز دوره كمنظومة تربوية وأخلاقية واجتماعية تحفّز على استمرار سلوكيات التضامن والتعاون حتى بعد انتهاء الشهر الفضيل، ما يجعل تأثيره عميقًا ودائمًا في نسيج المجتمع، ويعزز من قدرة الأجيال المقبلة على صيانة النسيج الاجتماعي والحفاظ على التماسك المجتمعي.

تأسس مركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية في بغداد بموجب شهادة التسجيل الصادرة عن الأمانة العامة لمجلس الوزراء -دائرة المنظمات غير الحكومية المرقمة (1J775330) بتاريخ ٢٦/٤/٢٠١٢، وهو مركز علمي بحثي يهتم بإجراء الاستطلاعات والدراسات الميدانية فضلا عن إعداد الأوراق البحثية والمقالات حول قضايا الحياة المجتمعية للأسرة والمواطن، والدولة بمؤسساتها المختلفة.

- لا يجوز نشر أي من إصدارات المركز ونتاجاته العلمية الا بموافقة خطية صريحة، ويمكن الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملا.
- لا تعبر الآراء الواردة في الدراسات او الاوراق البحثية والمقالات عن الاتجاهات الفكرية التي يتبناها المركز وانما تعبر عن رأي كاتبها.
- حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية

للتواصل

00964- 7710122232



Alfaiidcenter2011@gmail.com



www.al-faidh.com



العراق - بغداد - الكرادة

